

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه....

أما بعد:

حَصَلَتْ حَادِثَةٌ قَتَلَ غَامِضَةً فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَجَدَ الصَّحَابِيُّ الْمَقْتُولَ ﷺ فِي بئرِ لِيَهُودٍ، وَلَمْ يُرَ وَلَمْ يُعْرَفِ الْقَاتِلُ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثَةٌ مَنَّ لَهُ عَلاَقَةٌ بِالْحَادِثَةِ، عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَهْلٍ ﷺ أَخُو الْمَقْتُولِ، وَخُوَيْصَةَ ﷺ مَنْ كَانَ مُرَافِقَ الْمَقْتُولِ، وَخُوَيْصَةَ الَّذِي لَمْ يَشْهَدْ الْحَادِثَةَ وَلَمْ يَكُنْ قَرِيبًا مِنْهَا وَقَتَ حَدُوثِهَا، لَكِنَّهُ كَانَ أَكْبَرَهُمْ، فَذَهَبَ خُوَيْصَةَ - الْأَصْغَرُ - لِيَتَكَلَّمَ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ هُوَ الْأَحَقُّ بِرَوَايَةِ الْحَدِيثِ لِكَوْنِهِ كَانَ أَقْرَبَ النَّاسِ عَهْدًا بِالْمَقْتُولِ قَبِيلَ حَصُولِ الْحَادِثَةِ، فِإِذَا بِالنَّبِيِّ ﷺ يُوقِفُهُ وَيُوجِّهُهُ قَائِلًا: (كَبْرٌ كَبْرٌ!) أَي: وَكَلَّ الْكَلَامَ إِلَى أَخِيكَ الْأَكْبَرَ مُخِيصَةَ ﷺ، وَلَا تَتَقَدَّمْ عَلَيْهِ.

إِنَّهُ التَّوَجِيهُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ وَالْأَدَبُ الْمُحَمَّدِيُّ الرَّفِيعُ، الَّذِي يُعَلِّمُ أَفْرَادَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ قِيَمَةَ وَمَكَانَةَ الْكِبَارِ! تَجَدُّ فِي كَثِيرٍ مِنْ بِلْدَانِ الْغَرْبِ أَنَّ الْإِنْسَانَ كُلَّمَا كَبُرَ سَنَّهُ وَزَادَ عُمُرُهُ قَلَّتْ قِيَمَتُهُ وَنَقَصَتْ مَكَانَتُهُ، وَأَمَّا فِي الْإِسْلَامِ فَكُلَّمَا كَبُرَ عَمْرُكَ وَزَادَ سَنُّكَ؛ عَلَتْ قِيَمَتُكَ وَارْتَفَعَ شَأْنُكَ وَزَادَتْ التَّوَجِيهَاتُ فِي الْعِنَايَةِ بِكَ وَاحْتِرَامِكَ؛ فَهَنِيئًا لَنَا بِنِعْمَةِ هَذَا الدِّينِ الْعَظِيمِ!

وَمَجْتَمَعُنَا - بِحَمْدِ اللَّهِ - فِيهِ مِنْ مَظَاهِرِ احْتِرَامِ الْكَبِيرِ الشَّيْءِ الْكَثِيرِ الَّذِي لَا يَخْفَى، لَكِنْ حَتَّى لَا تُصْبِحَ الْعِبَادَةُ الرَّبَّانِيَّةُ مُجَرَّدَ عَادَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ بَعْدَ فِتْرَةٍ، أَوْ تُصْبِحَ بَعْضُ الْحَالَاتِ الشَّادَّةِ الَّتِي نَسْمَعُ بِهَا وَنَرَاهَا مِنْ قَلَّةِ احْتِرَامِ الْكِبَارِ، حَالَاتٍ مَتَكَاثِرَةٍ بَعْدَ مُدَّةٍ؛ فَعَلَيْنَا أَنْ نُذَكِّرَ أَنْفُسَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَشَبَابَنَا دَائِمًا بِحَقِّ كِبَارِنَا وَمَكَانَتِهِمْ فِي دِينِنَا.

فِيَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ: أَكْرَمُوا الْكِبَارَ وَأَجْلَوْهُمْ وَوَقِّرُوهُمْ؛ فَإِنَّ احْتِرَامَهُمْ دِينٌ، وَإِجْلَالُهُمْ مِنْ إِجْلَالِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ قَالَ ﷺ: (إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ: إِجْلَالُ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ).

يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ: أَعِينُوا كِبَارَ السِّنِّ وَاحْدَمُوهُمْ فِيمَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ؛ فَخِدْمَةُ كِبَارِ السِّنِّ وَكِفَايَتُهُمْ مِنْ سُنَنِ الْأَنْبِيَاءِ: لَمَّا قَالَتِ الْفَتَاتَانِ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءَ وَأُبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ قَالَ اللَّهُ: ﴿فَسَقَىهُمَا﴾.

يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ: اسْتَفِيدُوا مِنْ تِجَارِبِ كِبَارِ السِّنِّ وَخِبْرَاتِهِمْ فِي الْحَيَاةِ، وَلَا يَزْهَدَنَّكُمْ فِي الاسْتِفَادَةِ مِنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ لَمْ يَكْمَلْ تَعْلِيمَهُ فِي الْمَدَارِسِ أَوْ الْجَامِعَاتِ؛ فَهَؤُلَاءِ قَدْ دَرَسُوا عَقُودًا فِي مَدْرَسَةِ الْحَيَاةِ، وَتَعَلَّمُوا مِنْ أَحْدَاثِهَا وَمَوَاقِفِهَا مَا

لا يمكن أن تجده عند طلاب أكبر الجامعات العالمية وأصحاب الدرجات العلمية؛ ولذلك قال ﷺ: (البركة مع أكابركم)؛ فالتمسوا البركة في مشورتهم والرجوع إليهم والأخذ برأيهم.

يا معشر الشباب: لا تُهينوا كبار السنّ يجعلهم محلاً للمحتوى التّافه في وسائل التّواصل؛ بعملِ المقابلِ فيهم، أو السخرية من كثرة نسيانهم، أو محاولة إظهار جهلهم بمستجدات الواقع والتقنية؛ فإكراؤ الكبير دينٌ ودينٌ، رُوي عنه ﷺ أنّه قال: (مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلَّا قَيْضَ اللَّهِ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ)، ورُوي في المقابلِ عن يحيى بن سعيد رضي الله عنه أنه قال: (بلغنا أن من أهان ذا شبيبة؛ لم يمت حتى يبعث الله له من يُهين شبيهه إذا شاب!).

يا معشر الشباب: بادروا مع كباركم بالاتصال والوصال والسلام؛ ولا تتقدّموا عليهم بالحديث والكلام؛ لما أتى أبو بكر رضي الله عنه بوالده عام الفتح ليُسلم؛ قال ﷺ: (هَلَّا تَرَكْتُ الشَّيْخَ فِي بَيْتِهِ حَتَّى أَجِيئَهُ؟!)، وكان يقول للصّحابة رضي الله عنهم مُوجِّهاً: (وَلْيُسَلِّمِ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ)، ويقول ﷺ إذا اجتمع كبيرٌ وصغيرٌ وأراد الصّغيرُ الكلام: (كَبِّرْ كَبِّرًا!).

يا معشر الشباب: لا تختبروا كبار السنّ في ذكركم فتخرجوهم وتألّموهم بضعف ذكركم وتلاشي الأسماء والذكريات منها، وإنّما بادروا بالتّعريف بأنفسكم، وأظهروا الاهتمام بالاستماع إلى أحاديثهم ولو تكرّرت، فهو زُماً يعلم بتكرارها وترداده لها، ولكنّه لم يتبقّ من ذاكرته ليشارككم الأحاديث إلا هذه الذكريات؛ فلا تُفسدوا هذه الرغبة بالمشاركة بإظهار التضجّر من تكرار هذا الحديث؛ فضلاً عن التّصريح بالملل منه، بل أحاديث هؤلاء الكبار ممّا يصدّق فيه قول القائل:

يُعَادُ حَدِيثَهُ فَيَزِيدُ حَسَنًا \*\*\* وَقَدْ يُسْتَبْخُ الشَّيْءُ الْمُعَادُ!

يا معشر الشباب: لا تظهروا لكبار السنّ شفقةً عليهم؛ فهم ليسوا بحاجةٍ إلى ذلك، وإنّما ما يحتاجون إليه هو الاحترام والتوقير الذي يليق بمكانتهم وخبرتهم العريضة في رحلة الحياة وسبقهم لنا في سلوك طريق الطاعة والعبادة.

أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه غفور رحيم.

الحمد لله على إحسانه والشكر له...

أما بعد:

كأني بكبارنا - حفظهم الله - تعتلج في صدورهم حسرات الندم على فوات الشباب، وتخرج منهم زفرات الهم من تقدم العمر، ولسان حالهم:

ولقد بكيْتُ على الشبابِ ولَمَّتي \*\*\* مُسَوِّدَةٌ وماءٍ وجهي رونقُ  
حذرًا عليه قبلَ يومِ فراقِهِ \*\*\* حتى لكدتُ بماءِ جفني أشرق!

ولكن يا كبارنا: لا تحزنوا من تقدم سنكم وذهاب شبابكم؛ فهذا العمر كله شاهد لكم عند الله، وأنتم خير الناس إذا أحسنتم العمل؛ سأل أعرابي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، من خير الناس؟ قال: (من طال عمره وحسن عمله).  
يا كبارنا: لا تحزنوا لظهور شعرات الشيب عليكم؛ فإن هذا الشعرات المنيرة، تزيدكم بهاءً وجمالاً في الدنيا، وتضيء لكم وترفع درجاتكم غداً في الآخرة، في الحديث الصحيح: (الشيب نور المؤمن، لا يشيب رجل شيباً في الإسلام إلا كانت له بكل شيبه حسنة، ورفع بها درجة).

يا كبارنا: لا تحزنوا على ما أصابكم من الأمراض والأدواء وكثرة مراجعة العيادات والأطباء؛ فإن هذا لا يضيع عند الله، وستجدونه مثقلاً لحسناتكم ومأخياً لسيئاتكم إن احتسبتموه، وستنسيكم أول غمسة في أعمار الجنة - بإذن الله - كل ألم ومرض قد مرَّ بكم في الدنيا، وتعودون فيها في كامل قوتكم وشبابكم أبناء ثلاثٍ وثلاثين؛ فاصبروا واحتسبوا.  
يا كبارنا: إن مات بعض أصدقائكم أو أحببكم أو زوجاتكم؛ فلا تكرهوا الحياة ولا تتمنوا لذلك الموت، فإن في الله ريبكم أنسا عن كل ذاهب وفي طاعته عوضاً عن كل فائت؛ فأنسوا بالله يؤنسكم واستغنوا بالله يشرح صدوركم.

يا كبارنا: استمروا على ما أنتم عليه من الإقبال على الطاعة، وجددوا التوبة، وأبشروا بالخير من رب رحيم؛ فإن من عادة الملوك إذا كبر عبيدهم في خدمتهم أن يكرمهم بعقوبتهم، والله أكرم بعباده وأكرم، ورحمته منكم بإذن الله أدنى وأقرب:

إنَّ الملوك إذا شابَتْ عبيدُهُم \*\*\* في الرقِّ عتقوهم عنقِ أبرارِ  
وأنت يا سيدي أولى بذا كرمًا \*\*\* قد شبت في الرقِّ فاعتقني من النار!

هذا وصلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه....